ترجمة وتقديم: نبيه بشير

هل هنالك شعب فلسطيني؟!

غولدا مئير[1]

تقديم:

هاجرت غولدا مئير (Golda Meir/Mabovitch/Myerson, 1898–1978) مع أسرتها من كييف موطنها إلى الولايات المتحدة سنة ١٩٠٦، وبدأت هناك نشاطها الصهيوني بتأثير شخصيات صهيونية اشتراكية، من بينها دافيد بن غوريون وإسحق بن تسفي. هاجرت إلى فلسطين سنة ١٩٢١. تسلقت لاحقًا سلم مناصب الحركة العمالية والدائرة السياسية في الوكالة اليهودية. وشغلت منصب سفير إسرائيل في روسيا بعد العام ١٩٤٨، لكن سرعان ما عادت سنة ١٩٤٩ لتشغل منصب وزيرة العمل. تعتبر من نسور حزب مباي الحاكم، إلى جانب بن غوريون، وشغلت سنة ١٩٥٦ منصب وزيرة الخارجية (حتى سنة ١٩٦٦). غيّرت اسم عائلتها الأميركي (Myerson)، والذي غيّرته بعد وصولها إلى الولايات المتحدة من (Mabovitch)، إلى مئير، وذلك بأمر من وزير الحكومة بن غوريون، الذي فرض على جميع أعضاء السلك الديبلوماسي تغيير أسمائهم وأسماء عائلاتهم إلى أسماء عبرية. شغلت منصب رئاسة الحكومة منذ شباط ١٩٦٩ حتى حزيران ١٩٧٤.

ظهر تنكّر مئير لوجود شعب فلسطيني في معرض مقابلة أجريت معها، بصفتها رئيسة الحكومة في حينه، وقد بثّت على محطة تلفزيون بريطانية (Thames Television) في أعقاب انفجار طائرة تابعة للخطوط الجوية السويسرية، حيث قتل فيها ٩ من أفراد الطاقم، وَ ٣٨ راكبًا، من بينهم ١٥ إسرائيليًا، في شباط ١٩٧٠.[2]

وفي ما يأتي المقطع ذو الصلة:

سؤال: إذا نظرنا إلى الأراضي التي احتلتها إسرائيل (في حدود ٦٧) واستعمرتها، لماذا سيعتقد (العرب) أنكم ستنسحبون منها في يوم من الأيام؟

غولدا: يقولون لنا: "انسحبوا إلى حدود ٦٧ ثم يعمّ السلام". كنا على الحدود في أيار وحزيران ٦٧، فلماذا

اندلعت الحرب حينها؟ وقلنا بعد الحرب مباشرة (للعرب) لنجلس ونتفاوض من أجل السلام. لكنهم لم يفعلوا. نكرّر ونقول هذا حتى الآن: سنجلس ونتحدث ونتوصل إلى اتفاق حول حدود متفق عليها دون شروط مسبقة.

سؤال: هل كانت هناك لحظة واحدة منذ العام ٦٧ اعتقدت فيها أن العرب مستعدون للتحدث؟

غولدا: لا. وهذا شيء يحتاج العالم إلى فهمه، الصراع مع العرب ليس على قطعة أرض، ولا على أرض، ولا على أي شيء ملموس (حقيقي)، إنهم يرفضون الاعتراف بأن لدينا مجرّد الحق في الوجود.

سؤال: هل تفهمين أن الناس الذين كانوا هنا قبل العام ٤٨ ونزحوا إلى الأردن يطمحون للعودة إلى أرضهم؟

غولدا: لماذا رحل العرب؟

سؤال: من الواضح أن الكثيرين ممن عاشوا هناك من قبل وهم من لاجئي الحرب، وربما لا يحبون جيش الاحتلال.

غولدا: لكن من بدأ الحرب؟ ويريدوننا أن نغادر؟ لقد كنا هنا فيما مضى وقد عدنا. ماذا أخذنا من العرب عندما عدنا؟ ألا نرغب بالعيش معهم بسلام؟ هل طلبنا منهم المغادرة؟ ألم نقبل خطة تشرشل للتقسيم في العام ١٩٢٢، وخطة الأمم المتحدة للتقسيم في العام ١٩٤٧، ألم نوافق عليها؟

ما هو الفرق بين العرب على جانبي نهر الأردن، العرب في الضفة الشرقية والضفة الغربية؟ متى ولد الفلسطينيون؟ ماذا كان هذا المكان قبل الحرب العالمية الأولى؟ عندما حصلت بريطانيا على الانتداب على فلسطين، كانت هذه المنطقة واقعة بين البحر الأبيض المتوسط والحدود العراقية.

سؤال: هل تقولين إنه لا يوجد فلسطينيون؟

غولدا: لا! الضفة الغربية والشرقية كانت فلسطين، فأنا فلسطينية، وكنت أحمل جواز سفر فلسطينيًا منذ ١٩٢١ حتى ١٩٤٨. لم يكن هناك في المنطقة يهود وعرب وفلسطينيون، بل كان هناك يهود وعرب فقط.

سؤال: إنك تتنكّرين لوجود شعب فلسطيني فيما مضى، لكن الآن هناك حركة لتحرير فلسطين، إلى أين نتّجه؟ كيف سينتهي الأمر مع عدوك الأكبر؟

غولدا: لم أقل إنه لا يوجد فلسطينيون، قلت إنه لا يوجد شيء اسمه "شعب فلسطيني" يمكن تمييزه، ويختلف عن كل الفلسطينيّين الذين يقيمون في الأردن. لماذا أصبح فلسطينيو الضفة منذ حزيران٦٧ فلسطينيين أكثر مما كانوا عليه من قبل؟ لقد كان يمكنهم إقامة دولة فلسطينية أخرى في الضفة الغربية ومحاربة (إسرائيل) من هناك. لكنهم لم يفعلوا ذلك لأنهم قبلوا حقيقة إنهم الأغلبية في الأردن، وحصلوا على الجنسية الأردنية، وهم في البرلمان والحكومة. ماذا حدث ليصبحوا أكثر وعيًا بفلسطينيتهم بعد حرب ٦٧؟

تكمن أهمية هذه المقالة في أنها تلخّص العديد من عناصر الرواية الصهيونية المهيمنة، وتكشف بصورة بسيطة نظرتها للمحيط العربي ومستقبل إسرائيل في المنطقة، وهي لا تزال رواية مهيمنة صهيونيًا حتى يومنا، ويردّدها الكثير من رؤساء الحكومة والوزراء وأعضاء الكنيست،[٣] مع بعض الإضافات الدينية التي تعزّزت مع تولي حزب حيروت السلطة في سنة ١٩٧٧، وبعض العناصر الجديدة المستوردة من الولايات المتحدة، منذ منتصف الثمانينيات، كالفكر الجمهوري المحافظ الذي نلمسه في أيامنا في سياسة بنيامين نتنياهو بصورة واضحة.

[نص المقالة]

يعتبر الاقتباس الخاطئ خطرًا يتهدّد مستقبل القيادة السياسية؛ لهذا السبب أود أن أوضح موقفي من القضية الفلسطينية. لقد اتُهمت بكوني غير حسّاسة بتاتًا لمسألة العرب الفلسطينيّين، والدليل على ذلك، الافتراض أنني قلت: "لا وجود للفلسطينيّين". لكنني لم أقل ذلك، بل قلت في الحقيقة: "لا وجود لشعب فلسطيني، بل هناك لاجئون فلسطينيون". التمييز ليس لفظيًا. استند تصريحي هذا إلى مناقشات أجريتها طيلة حياتي مع القوميّين العرب الذين تنكّروا بشدّة في طروحاتهم لوجود قومية عربية فلسطينية منفصلة.

عندما وصلت إلى فلسطين في سنة ١٩٢١، كانت حتى نهاية الحرب العالمية الأولى مقاطعة تركية قاحلة قليلة السكان، وكنّا، نحن الطلائعيون اليهود، الذين أكّدنا جهرًا على كوننا فلسطينيّين، وبهذا الاسم عُرفنا في العالم؛ ورفض القوميون العرب، من ناحية أخرى، هذا التصنيف بشدة. استمر المتحدثون العرب في الإصرار على أنَّ البلد الذي كنَّا نفخر به طيلة قرون كان، كلبنان، مجرد جزء من سوريا.[٤] وقد استبسلوا أمام لجنة التحقيق الأنجلو أميركية وفي الأمم المتحدة على أنها بلد قطّعت أوصال الدولة العربية المثالية الموحّدة.

وقد أخبر المؤرخ العربي فيليب حتّي لجنة التحقيق الأنجلو أميركية أنه "لا يوجد شيء اسمه فلسطين في التاريخ"، بينما أكّد دافيد بن غوريون على الدور المركزي لفلسطين في التاريخي اليهودي، إن لم يكن لها دور في تاريخ العرب.[٥]

في أواخر أيار ١٩٥٦، أعلن أحمد الشقيري،[٦] رئيس منظمة التحرير الفلسطينية لاحقًا، أمام مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، "من المعروف أنَّ فلسطين ليست سوى جنوب سوريا". في ضوء ذلك، أعتقد أنه قد يغفر لي إذا اعتمدت في تصريحي على كلام متحدثين عرب.

انصبّ الاهتمام حتى الستينيات على اللاجئين العرب الذين لم تسمح الدول العربية بحلّ محنتهم، على الرغم من تقديم إسرائيل والمجتمع الدولي العديد من المقترحات البناءة وبعيدة المدى.

لقد عبّرت مرارًا عن تعاطفي مع المعاناة غير الضرورية للاجئين الذين قامت الدول العربية بخلق وضعهم غير الطبيعي واستغلته كتكتيك في معرض حملتها ضد إسرائيل. ومع ذلك، لا يمكن الحفاظ على مكانة "اللاجئ" لأولئك العرب البالغ عددهم الأصلي ٥٥٠ ألفًا، الذين انضموا في العام ١٩٤٨ إلى النزوح الجماعي من مناطق القتال أثناء الهجوم العربي على دولة إسرائيل الجديدة.

عندما بدأت بطاقات اللجوء في النفاد، ظهر الإرهابي الفلسطيني بشدّة على الساحة، ليس بسبب الادعاءات المشكوك فيها حول اللاجئين النازحين، بل بسبب القومية المروّعة التي لا يمكن إلَّا أن تتغذّى على جثة إسرائيل.

أعود وأكرّر مرة أخرى. لم نطرد العرب. فقد أثمرت جهودنا في العمل في الصحاري والمستنقعات في فلسطين المزيد من المساحات الصالحة للسكن لكل من العرب واليهود. تضاعف عرب فلسطين حتى العام ١٩٤٨ كنتيجة مباشرة للاستيطان الصهيوني. إنَّ جميع الأمراض اللاحقة التي أصابت العرب كانت النتيجة الحتمية للتصميم العربي لقذفنا إلى البحر. لو لم تقم إسرائيل بصدّ مدمّريها المحتملين لما كان هناك لاجئون يهود على قيد الحياة في الشرق الأوسط ليقلق بشأنهم العالم.

في الوقت الراهن، بعد عامين من الهجوم المفاجئ في حرب يوم الغفران (تشرين الأول ١٩٧٣)، أدركُ جيدًا فاعلية أموال النفط العربية الهائلة، وليس لدي أي أوهام بشأن الأساس الأخلاقي للأمم المتحدة، التي أشاد معظم أعضائها بحمل ياسر عرفات السلاح، وقامت بصورة مخجلة بتمرير القرار المعادي للسامية الذي وصف الصهيونية، حركة التحرّر القومي للشعب اليهودي، بالعنصرية.[٧]

لكن، على الرغم من أنَّ إسرائيل صغيرة ومحاصرة، فأنا لست مستعدة للانضمام إلى الصياغة السطحية القائلة بأنَّ الصراع العربي الإسرائيلي الذي نشهده يقوم على صراع بين حقّين متنافسين متساويّين وأنَّ ذلك يتطلّب من إسرائيل بأن تكون أكثر "مرونة". لم يتم انتهاك العدالة في الأراضي الشاسعة التي حرّرها الحلفاء من قبضة السلطان حين خُصّص ١٪ منها من أجل إنشاء الوطن اليهودي في موقع أجداد اليهود، بينما في المقابل، خُصّصت ٩٩٪ من الأراضي من أجل إقامة دول عربية مستقلة.

جريًا مع هذا التقسيم، وافقنا على اقتطاع شرق الأردن، ثلاثة أرباع مساحة فلسطين التاريخية، ووافقنا لاحقًا على التسوية المؤلمة لقرار التقسيم لعام ١٩٤٧ على أمل إحلال السَّلام. ومع ذلك، على الرغم من أنَّ إسرائيل نشأت في خُمس الأراضي المخصّصة أصلًا لصالح الوطن اليهودي، فقد غزا العرب الدولة الفتية.

أتوجّه بالسؤال مرة أخرى، كعادتي في السؤال في كثير من الأحيان، لماذا لم يقم العرب بإنشاء دولة فلسطينية في الجزء المقرّر لهم بدلًا من افتراس البلد من خلال استيلاء الأردن على الضفة الغربية واستيلاء مصر على قطاع غزة؟ وبما أنَّ مسألة حدود العام ١٩٦٧ تلوح في الأفق بشكل كبير في المناقشات الحالية، لماذا اجتمع العرب علينا في حزيران ١٩٦٧ في حين كانت الضفة الغربية ومرتفعات الجولان وسيناء وقطاع غزة والبلدة القديمة في القدس في أيديهم؟

هذه ليست أسئلة باطلة. إنهم يلجؤون إلى صلب الموضوع: عدم اعتراف العرب بحق إسرائيل في الوجود. لا يخضع حق إسرائيل في الوجود للنقاش. لهذا السبب، لا تستطيع إسرائيل بوجودها أن تجيز مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية في مجلس الأمن، وهي مشاركة تنتهك بصورة مباشرة القرارين ٢٤٢ وَ ٣٣٨.

ليس لدينا لغة مشتركة مع قتلة الأبرياء المبتهجين ومع حركة إرهابية ملتزمة أيديولوجيًا بتصفية الاستقلال القومي اليهودي.

لم تتخلَّ منظمة التحرير الفلسطينية عن برنامجها

"تصفية الكيان الصهيوني".[٨] يعترف الناطقون بلسان منظمة التحرير الفلسطينية بوقاحة مذهلة بأنَّ دولتهم المقترحة في الضفة الغربية ستكون مجرد "نقطة انطلاق" ملائمة، و"مرحلة أولى" تكتيكية، وأخيرًا سيبنون "ترسانة" مقاتلة في موقع استراتيجي لتسهيل اختراق إسرائيل.

كثيرًا ما يُطرح عليَّ سؤال افتراضي: كيف سنرد إذا وافقت منظمة التحرير الفلسطينية على التخلّي عن سلاحها وإرهابها وهدفها المتمثّل بتدمير إسرائيل؟ الجواب بسيط. أي حركة تتخلّى عن وسائلها وهدفها ستصبح بفعل هذه الحقيقة منظمة مغايرة مع قيادة مختلفة. لا يوجد مجال لمثل هذه التكهنات في حال منظمة التحرير الفلسطينية.

هذا لا يعني أنني أتجاهل في هذه المرحلة التطلّعات الوطنية التي طوّرها العرب الفلسطينيون في السنوات الأخيرة. ومع ذلك، يمكن تحقيق هذه التطلّعات ضمن حدود فلسطين التاريخية (فقط).

لم يغادر غالبية اللاجئين فلسطين قط. لقد استقروا في الضفة الغربية وفي الأردن التي معظم سكانها من الفلسطينيّين. مهما كانت التسمية المستخدمة، فإنَّ الأشخاص موضوع النقاش من الفلسطينيّين، وكذلك الأرض التي يعيشون عليها فلسطينية.

دولة فلسطين المصغرة، المزروعة كقنبلة موقوتة ضد إسرائيل في الضفة الغربية، لن تعمل إلَّا كنقطة محورية بأيدي الاتحاد السوفيتي لمزيد من استغلال التوترات الإقليمية.

لكن ضمن تسوية سلمية حقيقية، يمكن لفلسطين-الأردن القابلة للحياة أن تزدهر جنبًا إلى جنب مع إسرائيل داخل المنطقة الأصلية لفلسطين الانتدابية.

أصدرت الحكومة الإسرائيلية في ٢١ تموز ١٩٧٤ القرار الآتي: "سوف يتحقّق السَّلام مع وجود دولتين مستقلتين فقط - إسرائيل وعاصمتها القدس الموحّدة، ودولة عربية أردنية فلسطينية شرق إسرائيل، داخل حدود يتم تحديدها في المفاوضات بين إسرائيل والأردن".

يمكن حل جميع مشاكل الحلفاء بشكل منصف. ولتحقيق هذا، سيتعين على أعداء إسرائيل التوقّف عن تطوير مخطّطات علنية لتدميرها بصورة فورية أو تدريجية.

هناك ٢١ دولة عربية غنية بالنفط والأرض وتتمتّع بالسيادة. هناك دولة صغيرة واحدة فقط تحقّق من خلالها الاستقلال القومي اليهودي بعد بذل جهود بالغة. ليس من المبالغة بالتأكيد المطالبة في ضوء لعبة القوى الحالية بحق ديمقراطية صغيرة في الحرية وعدم خيانة الحياة.

الهوامش

١ المصدر: Golda Meir, *The New York Times*, January 14, 1976.

٢ في ما يأتي الرابط لمشاهدة المقابلة كاملة: https://www.youtube.com/watch?v=w3FGvAMvYpc.

٣ يُنظر، على سبيل المثال:

Arye Naor, "Hawks' Beaks, Doves' Feathers: Likud Prime Ministers between Ideology and Reality," *Israel Studies* 10(3), (2005), 154-191.

٤ وقد كرّرت هذا في معرض مقابلة تلفزيونية أميركية أجريت معها باللغة الإنكليزية في سنة ١٩٧٣، وفي ما يأتي الرابط لمشاهدتها كاملة:

https://www.youtube.com/watch?v=HnqRnX1xZs8&ab_channel=PublicResourceOrg

٥ يظهر هذا الاقتباس فعلًا في كلمة المؤرخ فيليب حتّي أمام اللجنة الأنجلو-أميركية (يوم ١١ كانون الثاني ١٩٤٦)، لكنه يريد التأكيد على وحدة العالم العربي وأنه لا يمكن نزع فلسطين عن محيطها والتعامل معها كوحدة قائمة بذاتها، لا سيما وأنها جغرافيًا وإداريًا تعتبر تاريخيًا جزءًا من بلاد الشام. عثرت على شهادة حتّي في التقرير الآتي:

Hearings before the Anglo-American Committee of Inquiry (Washington D.C., State Department Building, January 11, 1946), 5, 10-11.

المتوفر في الإرشيف الصهيوني المركزي في القدس، في الترميز الآتي: BK\9960\b, VI ג.

ويرد رد بن غوريون في المصدر الآتي:

Public Hearings before the Anglo-American Committee of Inquiry, March 3, 1946 (Jerusalem 1946).

ويُنظر كذلك:

Arthur Kahn and Thomas F. Murray, The Palestinians: A Political Masquerade (New York: AFSI- Americans for a Safe Israel, ١٩٧٧), ٩.

وقد استقى العديد من الناشطين والسياسيّين الإسرائيليّين المتأخرين من المرجع الآتي جميع معلوماتهم بشأن "عدم وجود فلسطين ولا الفلسطينيّين"، مثل المستوطن الشهير إلياكيم هعتسني، يُنظر:

Elyakim Ha'etzni "There is Life without A Solution", Ariel Center for Policy Research - ACPR, *Policy Paper* No. 135 (Shaarei Tikva Settlement: Ariel Center for Policy Research, 2002), 13.

كذلك، يُنظر:

Efraim Karsh, "The Myth of Palestinian Centrality," *Mideast Security and Policy Studies No. 108* (The Begin-Sadat Center for Strategic Studies, Bar-Ilan University, July 2014), 10.

٦ وقد شغل في حينه منصب الأمين العام المساعد لجامعة الدولة العربية (حتى العام ١٩٥٧) وبعد ذلك أصبح مندوب السعودية في الأمم المتحدة (حتى العام ١٩٦٢).

٧ تريد قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٣٣٧٩ (الدورة ٣٠)، بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٧٥) الصادر بعنوان "الإقرار بأن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية"، وفي ما يأتي نصّه:

إن الجمعية العامة،

إذ تشير إلى قرارها ١٩٠٤ (د ـ ١٨) المؤرخ في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٣، الذي أصدرت فيه إعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، وبوجه خاص إلى تأكيدها "أن أي مذهب يقوم على التفرقة العنصرية أو التفوق العنصري مذهب خاطئ علميًا ومشجوب أدبيًا وظالم وخطر اجتماعيًا"، وإلى إعرابها عن القلق الشديد إزاء "مظاهر التمييز العنصري التي لا تزال ملحوظة في بعض مناطق العالم، وبعضها مفروض من بعض الحكومات بواسطة تدابير تشريعية أو إدارية أو غيرها"،

وإذ تشير، أيضًا، إلى أن الجمعية العامة قد أدانت في قرارها ٣١٥١ زاي (د ـ ٢٨) المؤرخ في ١٤ كانون الأول ١٩٧٣، في جملة أمور، التحالف الآثم بين العنصرية بإفريقيا الجنوبية والصهيونية،

وإذ تحيط علمًا بإعلان المكسيك بشأن مساواة المرأة وإسهامها في الإنماء والسلم، ١٩٧٥ المعلن من قبل المؤتمر العالمي للسنة الدولية للمرأة، الذي عقد في مكسيكو في الفترة من ١٩ حزيران إلى ٢ تموز ١٩٧٥، والذي أعلن المبدأ القائل بأن "التعاون والسلم الدوليّين يتطلّبان تحقيق التحرّر والاستقلال القوميّين، وإزالة الاستعمار والاستعمار الجديد، والاحتلال الأجنبي، والصهيونية، والفصل العنصري [أبارتهيد]، والتمييز العنصري بجميع أشكاله، وكذلك الاعتراف بكرامة الشعوب وحقّها في تقرير المصير"،

وإذ تحيط علمًا، أيضًا، بالقرار ٧٧ (د ـ ١٢) الذي اتخذه مجلس رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الأفريقية في دورته العادية الثانية عشرة المعقودة في كمبالا في الفترة من ٢٨ تموز إلى ١ آب ١٩٧٥، الذي رأى "أن النظام العنصري الحاكم في فلسطين المحتلة والنظامين العنصريّين الحاكمين في زيمبابوي وأفريقيا الجنوبية ترجع إلى أصل استعماري مشترك، وتشكل كيانًا كليًا، ولها هيكل عنصري واحد، وترتبط ارتباطًا عضويًا في سياساتها الرامية إلى إهدار كرامة الإنسان وحرمته"،

وإذ تحيط علمًا، أيضًا، بالإعلان السياسي وإستراتيجية تدعيم السلم والأمن الدوليّين وتدعيم التضامن والمساعدة المتبادلة فيما بين دول عدم الانحياز، اللذين تم اعتمادهما في مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز المنعقد بليما، في الفترة من ٢٥ إلى ٣٠ آب ١٩٧٥، واللذين أدانا الصهيونية بأقصى شدة بوصفها تهديدًا للسلم والأمن العالميّين وطلبا إلى جميع البلدان مقاومة هذه الأيديولوجية العنصرية الإمبريالية،

تقرّر أنَّ الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري.

٨ جاء في المادة ١٥ من الميثاق الوطني الفلسطيني (المقرّ يوم ١٠ تموز ١٩٦٨): "تحرير فلسطين من ناحية عربية هو واجب قومي لرد الغزوة الصهيونية والإمبريالية عن الوطن العربي الكبير ولتصفية الوجود الصهيوني في فلسطين، تقع مسؤولياته كاملة على الأمة العربية شعوبًا وحكومات وفي طليعتها الشعب العربي الفلسطيني ...".